

# الإيمان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله فاطر السموات والأرض. ذي الجلال والإكرام. والطول والإنعام خالق الخلق. مالك الملك.

والصلاة والسلام علي أفضل خلقه. وخاتم رسله. البشير النذير. سيد ولد آدم ولا فخر. سيدنا محمد بن عبد الله. وعلي آله وصحبه أجمعين وبعد.

فهذه عمالة تعرفنا بالإيمان. الذي جاء به خاتم النبيين وإمام المرسلين سيدنا محمد ﷺ. بعيدة عن المصطلحات التي كثيرا ما ترهق القارئ.

وقد دار الحديث في هذه العمالة حول حديث نبوي شريف أخرجه الشيخان البخاري ومسلم. يسمي حديث جبريل.

لأن السائل فيه. هو جبريل عليه السلام. جاء إلي رسول الله ﷺ في صورة بشرية يراه الصحابة رضي الله عنهم.

وجلس بين يدي رسول الله ﷺ في غاية الأدب والكمال فأسند ركبته إلي ركبتي النبي ﷺ ووضع كفيه علي فخديه علي هيئة الجالس في الصلاة للتشهد الاوسط.

وقد عظمت قيمة هذا الحديث بتخريج الصحيحين وهما أصح الكتب بعد القرآن الكريم. وقد تلفتها الأمة بالقبول. وجميع الأحاديث المسندة فيهما مقطوع بصحتها.

كما عظمت قيمته كذلك بما تضمنه من تعريف بالإسلام والإيمان والإحسان وعظمت قيمته ثالثا من ناحية كون السائل جبريل أمين الوحي عليه السلام جاء يسأل ليعلم الناس دينهم. من جوابه ﷺ.

وقد حرصت علي أن أعرف الإيمان كما جاء في حديث جبريل هذا. مستندا في جميع ما أقوله إلي نصوص الكتاب والسنة النبوية المطهرة.

والله الموفق والهادي إلي سواء السبيل.

حديث جبريل: عن عمر بن الخطاب قال: بينما نحن عند رسول ﷺ ذات يوم.

إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب. شديد سواد الشعر. لا يرى عليه أثر السفر ولا

يعرفه منا أحد. حتي جلس إلي النبي ﷺ. فأسند ركبته إلي ركبتيه ووضع كفيه علي فخديه .

وقال : يا محمد أخبرني عن الإسلام.

فقال رسول الله ﷺ : الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله . وتقيم الصلاة وتؤتي الزكاة وتصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً .

قال : صدقت .

قال : فعجبنا له يسأله . ويصدقه .

قال : وأخبرني عن الإيمان .

قال : أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر وتؤمن بالقدر خيره وشره .

قال : صدقت .

قال : فأخبرني عن الإحسان .

قال : أن تعبد الله كأنك تراه . فإن لم تكن تراه . فإنه يراك .

قال : فأخبرني عن الساعة .

قال : ما المسؤول عنها بأعلم من السائل .

قال : فأخبرني عن أماراتها .

قال : أن تلد الأمة ربثها . وأن تری الحفاة العراة العالة رعاء الشاء يتطاولون في البتيان .

قال : ثم انطلق فلبث مليا .

ثم قال لي يا عمر أتدري من السائل ؟

قلت : الله ورسوله أعلم .

قال : فإنه جبريل أتاكم يعلمكم دينكم .

رواه مسلم باب « أمارات الساعة » ج ١ ص ١٥٧ - ١٦٠

أخي أيها المسلم أحببت أن أربط إيمانك بأصل من أصول دينك ذلك الأصل هو الأصل الثاني بعد القرآن الكريم . وهو السنة النبوية المطهرة .

شارحة القرآن ومببته كما قال تعالي ﴿ وأنزلنا إليك الذكر لتبين للناس ما نزل إليهم ﴾ .

ولكون السنة شارحة ومبينة للقرآن الكريم فقد ربطت حديثي عن الإيمان بحديث نبوي شريف لما فيه من تفصيل للإيمان .

وفي هذا الحديث النبوي رأينا أن هناك فرقا بين الإسلام والإيمان والإحسان غير أنه يتدرج من الكمال إلي الأكمل .

فمقام الإيمان فوق مقام الإسلام . وقد تدرج بذلك القرآن الكريم في قوله تعالي ﴿ قالت الأعراب آمنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم ﴾

فقد يكون هناك إسلام . لا إيمان معه . وذلك كإسلام المنافقين . الذي هو إنقياد ظاهري فقط . يتفع في الدنيا . ولا يتفع في الآخرة . « يخادعون الله وهو خادعهم » . وقد يكون هناك إيمان لا إحسان معه .

فإذا اجتمع للمرأ الإسلام والإيمان والإحسان . فقد اجتمع له الخير كله .

وفي هذا الحديث نري أن الإيمان عبارة عن جملة اعتقادات قلبيه . بلغ مجموعها ستة اعتقادات .

هي الإيمان / بالله ، وملائكته ، وكتبه ، ورسوله ، واليوم الآخر ، والقضاء والقدر خيره وشره .

وعن هذه الاعتقادات الستة الأصول . توجد اعتقادات فرعية أخرى كثيرة أشرنا إلي بعضها . وتركنا البعض الآخر لقصد الإيجاز .

والأصل الأول من هذه الأصول الستة

هو الإيمان بالله عز وجل . الإيمان بوجوده . والإيمان بأنه متصف بكل كمال . ومتمزه عن كل نقص .

والأدلة علي وجوده تعالي مبثوثة في الأنفس والآفاق . وفي الآيات المتلوة .

فأدلة وجوده في أنفسنا أشار إليها تعالي بقوله : ﴿ وفي أنفسكم أفلا تبصرون ﴾

وفصل طرفاً منها بقوله : ﴿ فلينظر الإنسان مم خلق خلق من ماء دافق يخرج من بين الصلب والترائب ﴾ وبقوله : ﴿ هل أتى علي الإنسان حين من الدهر لم يكن شيئاً مذكوراً. إنا خلقنا الإنسان من نطفة أمشاج نبتليه فجعلناه سميعاً بصيراً ﴾

فأدلة وجوده تعالي في الأنفس خلقنا وبروزنا من العدم إلي الوجود. فالله هو خالقنا ومنكر الخالق مكابر .

فالعقل البشري السوي ينكر وجود مخلوق بدون خالق. والقرآن الكريم يصرح بذلك. ويشير إلي أن وجودنا دليل علي وجوده تعالي. قال عز من قائل: ﴿ أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون ﴾ .

فالمخلوق إن لم يؤمن بوجود الاله الخالق. فلا بد من أحد أمرين كلاهما باطل عقلاً. الأول أن يكون المخلوق قد خلق بدون خالق. الثاني أن يكون المخلوق قد خلق نفسه وكلا الأمرين باطل عقلاً. فثبت وجود الإله الخالق .

ومن عجب أن يكابر الملاحدة في هذه القضية الفكرية .

ويزعمون أن الكون وجد بالصدفة. مع أنهم لا يؤمنون بالصدفة في علمهم المحدود المتصل بظواهر هذا الكون .

ويروي أن القول بالصدفة في العلوم هو قول الجاهلين ولكنهم يقولون بالصدفة في وجود الأكوان كلها. وخلق الإنسان من بينها إلا ما أضل الفكر البشري. عندما يقول بمثل هذا الهراء .

وأما الأدلة علي وجوده تعالي المبثوثة في الآفاق. فنراها في السموات وفي الأرض وما بين السموات والأرض من مخلوقات عظيمة مسخرة. لا تحيد عما سخرت له. فالشمس والقمر والنجوم والكواكب كل في فلك يسبح .

﴿ لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر ولا الليل سابق النهار وكل في فلك يسبحون ﴾ .

ويشير المولي عز وجل إلي دلالة هذه المخلوقات من السموات والأرض علي

وجوده بقوله ﴿ أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون ﴾ .

فالسموات والأرض لم يخلقا أنفسهما قطعاً. ولم يقل بذلك قائل أبداً. ولم يدع أحد من المخلوقات أنه خلق السموات والأرض. فثبت بهذا أن خالق السموات والأرضين هو المولي عز وجل .

قال تعالي ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوي علي العرش يفشي الليل النهار يطلبه حثيثاً والشمس والقمر والنجوم مسخرات بأمره الا له الخلق والأمر تبارك الله رب العالمين ﴾ (الأعراف / ٥٤)

هذا ولا يقف الإيمان بالله عند الإيمان بوجوده عز وجل بل يجب أن نؤمن بأنه تعالي متصف بكل كمال يليق بذاته تعالي. ومنزه عن كل نقص. مع العلم بأن كمالات الله لا تنتهي. فالمولي عز وجل واحد لا شريك له .

فلا زوجة له ولا ولد ولا شريك له في ملكه. يقول تعالي ﴿ بسم الله الرحمن الرحيم. قل هو الله أحد. الله الصمد. لم يلد ولم يولد. ولم يكن له كفواً أحد ﴾ .

ويشير تعالي إلي بطلان القول بشريك له . بقوله عز وجل: ﴿ لو كان فيها آلهة إلا الله لفسدنا ﴾ (الأنبياء / ٢٢) . ويوضح سبب الفساد في آية أخرى بقوله ﴿ قل لو كان معه آلهة كما يقولون إذا لا يبتغوا إلى ذي العرش سبيلاً ﴾ (الإسراء / ٤٢) بمعنى أنه لو كان معه تعالي آلهة كما يقول المشركون لوقع بينهم وبينهم التنازع والاختلاف ولقد أرسل تعالي رسله لتأكيد وحدانيته .

فما من رسول إلا وكان هدفه الأول من رسالته الدعوة إلي توحيد الله سبحانه وتعالى .

قال عز من قائل ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحي إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ (الأنبياء)

ونؤمن بأنه تعالي قديم بلا ابتداء. وآخر بلا انتهاء .

فهو أزلي أبدي. لا أول لوجوده. ولا نهاية له. قال ﷺ: « اللهم أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء» وقال تعال يصف نفسه ﴿ هو الأول والآخر ﴾ .

ونؤمن كذلك بأنه تعالى ﴿ ليس كمثله شيء ﴾ فليس له شبيه ولا مثيل وكل ما خطر ببالك وصفا له . فالله بخلاف ذلك .

وإيمانك بما لا تدرك حقيقته ليس بغريب عليك . فأنت تؤمن بأنك جسم وروح وإن حياتك علي ظهر هذه الأرض رهن بوجود روحك في جسدك .

وبخروج هذه الروح تنتهي الحياة . ومع ذلك تجهل حقيقة روحك هذه . التي هي حقيقتك . حتي لقد سأل عنها المشركون رسول الله ﷺ . ولم يظفروا منه بجواب لأن علم حقيقتها فوق طاقتهم . قال تعالى ﴿ ويستلونك عن الروح قل الروح من أمر ربي وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً ﴾ .

ونؤمن كذلك بأنه تعالى قادر لا يعجزه شيء قال سبحانه : ﴿ تبارك الذي بيده الملك وهو علي كل شيء قدير ﴾ ( الملك / ١ ) . وكرر تعالى هذا المعني في القرآن الكريم مرارا . وقال سبحانه مشيرا إلي عظيم قدرته . ﴿ وما قدروا الله حق قدره والأرض جميعاً قبضته يوم القيامة والسموات مطويات بيمينه سبحانه وتعالى عما يشركون ﴾ .

كما نؤمن بأنه لا يقع في الوجود شيء إلا بإرادته تعالى . قال سبحانه : ﴿ إنما قولنا لشيء إذا أردناه أن نقول له كن فيكون ﴾ ( الزمر / ٧٦ ) . وقال تعالى ﴿ إن ربك فعال لما يريد ﴾ ( النحل / ٤٠ )

ولا يتحقق من إرادة المخلوق إلا ما وافق إرادة الخالق فحسب وما لم يوافق إرادة الخالق فلا يتحقق لأنه لا يقع في ملك الله إلا ما يريد .

ونؤمن بأنه تعالى مدبر أمر مخلوقاته . قال تعالى ﴿ إن ربكم الله الذي خلق السموات والأرض في ستة أيام ثم استوي علي العرش يدبر الأمر ﴾ ( يونس / ٣ ) وقال تعالى ﴿ قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله فقل أفلا تتقون ﴾ ( يونس / ٣١ ) .

كما قال تعالى ﴿ يدبر الأمر من السماء إلي الأرض ﴾ ( السجدة / ٥ ) .

فهو سبحانه مدبر أمر الخلائق . لا يعزب عنه مثقال ذرة في السموات ولا في الأرض ولا يشغله شأن عن شأن . ولا يتبرم بالبحاح الملحين ولا يلهيه تدبير الكبير عن

الصغير في الجبال والبحار والعمران والقفار. وما من دابة في الأرض إلا علي الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها ﴿ وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾

ونؤمن بأن علمه تعالى ذاتي أزلي أبدي محيط. قال سبحانه: ﴿ وهو بكل شيء عليم ﴾ (البقرة: ٢٩) كما قال تعالى: ﴿ إن الله واسع عليم ﴾ (البقرة: ١١٥) وقال سبحانه وتعالى: ﴿ وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين ﴾ (الأنعام: ٥٩)

وعلمه تعالى سبأق. فهو يعلم الأشياء قبل وجودها.

يعلم ما سيكون قبل أن يكون. وعلمه تعالى لا يتناهي. لأنه صفة وصفاته تعالى غير متناهية.

قال تعالى: ﴿ قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي لنفد البحر قبل أن تنفذ كلمات ربي ولو جئنا بمثله مددا ﴾ (الكهف: ١٠٩)

كما قال سبحانه: ﴿ ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله ﴾ (لقمان: ٢٧)

وهو تعالى يعلم السر وما يخفي ﴿ يعلم خائنه الأعين وما تخفي الصدور ﴾ (غافر: ١٩)

وهو تعالى سميع بصير. بسمع وبصر يليقان بذاته عز وجل.

قال عز من قائل: ﴿ فسيفكفيكم الله وهو السميع العليم ﴾ (البقرة: ١٣٧)

وقال تعالى: ﴿ واعلموا أن الله سميع عليم ﴾ (البقرة: ٢٤٤)

وقال تعالى ﴿ ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ (الشورى: ١١)

وقال تعالى: ﴿ إنه بعباده خبير بصير ﴾ (الشورى: ٢٧)

وقد تكرر وصفه تعالى لنفسه بالسمع والبصر في القرآن مرارا بصيغة المبالغة.

وهو تعالى متكلم بكلام يليق بذاته. ليس بحرف ولا صوت. سمعه كلیم الله سيدنا

موسي عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام ووعاه . وقال تعالى : ﴿ ولما جاء موسى لميقاتنا  
وكلمه ربه ﴾ (الأعراف: ١٤٣)

وسمعه سيدنا رسول الله ﷺ ليلة الإسراء والمعراج وهو في السموات العلا . بعد  
سدره المنتهي .

ويسمعه أمين الوحي جبريل . وقد سمع القرآن الكريم كله من رب العزة ووعاه  
ونزل به علي المصطفى ﷺ . قال تعالى : ﴿ نزل به الروح الأمين علي قلبك لتكون من  
المنذرين بلسان عربي مبين ﴾ (الشعراء: ١٩٣/٩٥)

ونؤمن كذلك بمعيتة تعالى : فهو معنا أينما كنا وحيثما حللنا . وقال تعالى  
﴿ وهو معكم أينما كنتم ﴾ وقال تعالى ﴿ ما يكون من نجوي ثلاثة إلا هو رابعهم  
ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدني من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أينما  
كانوا ﴾ ( المجادلة: ٧)

فهو عز وجل رقيب علينا لا يغيب عنه شيء من أعمالنا .

وهو أقرب إلينا من أنفسنا . وقال تعالى : ﴿ واعلموا أن الله يحول بين المرأ  
وقلبه ﴾ (الأنفال: ٢٤) فمن يحول بين المرء وقلبه فهو أقرب إليه من نفسه .

روي الإمام أحمد بسنده عن أنس رضي الله عنه قال : كان النبي ﷺ يكثر أن  
يقول : «يا مقلب القلوب ثبت قلبي علي دينك» قال : فقلنا يا رسول الله أمنا بك وبما  
جئت به فهل تخاف علينا؟ قال : نعم إن القلوب بين إصبعين من أصابع الله تعالى يقليبها .

ونؤمن بأنه تعالى رحمن رحيم أرحم بعباده من أنفسهم وآبائهم وأمهاتهم وفي  
الحديث . وقد أشار ﷺ إلي امرأة في السبي قد تحلب ثديها وكلما وجدت طفلا في  
السبي ألصقته بيطنها وأرضعته ، يقول ﷺ وقد أشار إليها . «أترون هذه المرأة طارحة ولدها  
في النار ؟ قلنا : لا والله . وهي قادرة علي أن لا تطرحه . قال : فالله تعالى أرحم بعباده  
من هذه بولدها » .

ويصفه تعالى حملة عرشه بالرحمة السابعة فيما حكاه تعالى عنهم بقولهم ﴿ ربنا  
وسعت كل شيء رحمة وعلما ﴾ (غافر: ٧)

رواه البخارى

ونؤمن بأنه وجده النافع الضار. فلا نافع إلا هو. ولا ضار غيره والمخلوقات جميعا في قبضته يصرفها كيف يشاء. ومن هنا فلانرجوا إياه ولا نخاف سواه.

وقال تعالى: ﴿ وَإِنْ يَمْسُكِ اللَّهُ بُضْرًا فَمَا كَاشَفَ لَهُ إِلَّا هُوَ. وَإِنْ يَرِدْكَ بِخَيْرٍ فَلَا رَادَ لِفَضْلِهِ. يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ ﴾ (يونس: ١٠٧).

ويقول ﷺ ﴿ واعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن يتفعلوك بشيء فلن يتفعلوك إلا بشيء قد كتبه الله لك. وإن اجتمعت علي أن تضرك بشيء فلن تضرك إلا بشيء قد كتبه الله عليك. رفعت الأقلام وجفت الصحف ﴾.

ويخاطب أبا هريرة رضي الله عنه. وقد استشاره في أمر فيقول له: ﴿ جف القلم بما أنت لاق يا أبا هريرة ﴾ .

« فلو اجتمع الخلق كلهم علي شيء كتبه الله تعالى أنه كائن ليجعلوه غير كائن. لم يقدروا عليه. ولو اجتمعوا كلهم علي شيء لم يكتبه الله تعالى ليجعلوه كائنا. لم يقدروا عليه. جف القلم بما هو كائن إلي يوم القيامة» (١).

ومن امتلأ قلبه يقينا بذلك فقد امتلأ قلبه أمانا.

ومن خلا قلبه من ذلك اليقين سلب الله عليه ما يخوفه من مخلوقاته. وسلبه الخوف منه عز وجل.

## ونؤمن بأنه تعالى خلق ملائكة

من النور فهم أجسام نورانية لطيفة. قادرة علي التشكل بالأشكال الحسنة ولا تحكم عليهم الصورة. مسكن غالبهم السماء، ومنهم من يسكن الأرض. يسبحون الليل والنهار لا يفترون. ولا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون من وصفهم بذكورة فسق. ومن وصفهم بأنوثة كفر وهم طوائف متعددة.

منهم الحفظة والكتبة، وغير ذلك من الطوائف. قال تعالى: ﴿ وَإِنْ عَلَيْكُمْ حَافِظِينَ كَرَامًا كَاتِبِينَ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ﴾

ونؤمن تفصيلاً بمن ذكرهم الله تفصيلاً، ومنهم جبريل وميكائيل واسرافيل وعزرائيل، ومنكر ونكير، وحملة العرش وغيرهم.

(١) شرح الطحاوي ٢١٢

« والملائكة هم الموكلون بالسموات والأرض . فكل حركة في العالم فهي ناشئة عن الملائكة قال تعالى : ﴿ فالدبروات أمراء ﴾ وقال تعالى ﴿ فالمقسمات أمراء ﴾

وهم الملائكة عند أهل الإيمان وأتباع الرسل . وأما المنكرون للرسل المكذبون للصانع . فيقولون : هي النجوم وقد دل الكتاب والسنة علي أصناف من الملائكة . موكلة بأصناف من المخلوقات فقد وكل عز وجل بالجبال ملائكة . وبالسحاب ملائكة وبالمطر ملائكة وبالآرحام ملائكة تدبر أمر النطفة حتي يتم خلقها . وبالموت ملائكة . والأفلاك ملائكة يحركونها . وبالشمس والقمر ملائكة . و بالنار وإيقادها وتعذيب أهلها ملائكة . وبالجنة وعمارتها وغرسها ملائكة .

فالملائكة أعظم جنود الله منهم « المرسلات عرفا » « الناشرات نشرا » و « الفارقات فرقا » و « الملقيات ذكرا » ومنهم « النازعات غرقا » « الناشطات نشطا » و « السابحات سبحا » « فالسبقات سبقا » ومنهم « الصافات صفا . فالزاجرت زجرا فالتاليات ذكرا » ومعني قولنا : لا تحكم عليهم الصورة .

أن الملك إذا ظهر في صورة بشر مثلا . وأمسكناه وأراد أن يذهب استطاع الذهاب ولا نجده في أيدينا . وذلك عكس الجنى . فإن الصورة تحكم عليه فلو أن جنيا ظهر في صورة ما . صورة بشر أو حيوان آخر و أمسكناه لبقى في أيدينا في صورته التي دخل فيها . ومن هنا يمكن قتل الجنى . إذا ظهر في صورة وقتلناه فيها .

فقد ورد أن بعض الصحابة وكان حديث عهد بعرس . عاد من غزو مع رسول الله ﷺ . فوجد امرأته علي باب منزله مضطربة فسألها عن شأنها فطلبت منه أن ينظر ما علي فراشه فنظر فوجد حية كبيرة ، فغرز سيفه فيها فاضطربت ثم ماتت . غير أن الفتى قد مات أيضا .

فأخبر بذلك المصطفى ﷺ . فقال : إن بالمدينة جنا قد أسلموا فإذا رأيتم شيئا من ذلك فأذتوه ثلاثا . فإن عاد فاقتلوه فإنما هو شيطان .

وقد اختلف السلف في معني إيذانه ثلاثا . فقال بعضهم : يقول له اذهب ثلاث مرات . وقال البعض الآخر بل يقول له اذهب ثلاثة أيام .

شرح الطحاوية ص ٢٤٥ : ١٤٦  
رواه مسلم ص ١٤ : ٢٢٤ )

وهكذا رأينا الصورة التي ظهر فيها الجنى وهي صورة الحية قد حكمت عليه لما غرز الصحابي سيفه فيها وقتلته وإن كان الجن قد ثاروا من الصحابي وقتلوه أيضا.

ويقول عليه السلام وقد تفلت عليه ليلة عفرت من الجن « إن عفرتيا تفلت علي البارحة . فأحييت أن أربطه إلي سارية المسجد حتي يلعب به صبيان المدينة في الصباح . غير أنني تذكرت قول أخي سليمان ﴿ رب هب لي ملكا لا ينبغي لأحد من بعدي ﴾ (هود ٨١) فتركته مما يصرح بأنه لو ربط لما استطاع من الرباط فكأكا . لأن الصورة تحكم عليه وهذا بخلاف الملائكة .

فإنهم لما ذهبوا لزيارة سيدنا لوط عليه وعلي نبينا الصلاة والسلام وقد ظهروا في هذه الصورة غلمان حسان . وأراد قومه بهم سوءا . وهو لا يعلم بأنهم ملائكة ففرع خوفا علي ضيفانه من إيذاء قومه . ولكن الملائكة أعلموه أنهم ملائكة وأن قومه لا يستطيعون إيذائهم . قال تعالي حاكيا كلام الملائكة لسيدنا لوط ﴿ قالوا يا لوط إنا رسل ربك لن يصلوا إليك ﴾ .

ونؤمن بأن الله أنزل كتبنا كثيرة . حدثنا عن بعضها ولم يذكر البعض الآخر ومن تلك الكتب المنزلة التنزارة والانجيل والزبور والقرآن الكريم . خاتم تلك الكتب . وخاتم رسالات السماء إلي الأرض .

ونؤمن بأن الكتب السابقة لم يتكفل الله بحفظها وهي كلامه لعدم الحاجة إليها بعد نزول القرآن الكريم .

فلقد رأي رسولنا عليه السلام سيدنا عمر وهو يطالع في صحيفة من التوراة فغضب من ذلك وقال : أمتهوكون أنتم يا عمر لقد جتكم بها بيبضاء نقيه والذي نفس محمد بيده لو أن موسى حيا ما وسعه إلا اتباعي « (١) .

ومعني متهوكون : متحIRON .

وأما القرآن الكريم فقد تكفل الله عز وجل بحفظه . لأنه يحمل الرسالة الخالدة الباقية إلي قيام الساعة . قال تعالي ﴿ إنا نحن نزلنا الذكر وإنا له لحافظون ﴾ فالقرآن محفوظ بحفظ الله .

---

حديث حسن . رواه البقوى في شرح السنة وأخرجه أحمد في المسند شرح السنة ج ١ ص ٢٧٠ .

ومن حفظ الله له تيسير حفظه في الصدور وفي السطور معاً قال تعالى ﴿ولقد يسرنا القرآن للذكر فهل من مدكر﴾ ولا يتأتى هذا لكتاب آخر قال تعالى في الحديث القدسي : يخاطب الرسول ﷺ ﴿إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء. تقرأ نائماً ويقظان﴾ (١) .

فأشار تعالى بقوله ﴿لا يغسله الماء﴾ إلي حفظه في الصدور .

ونؤمن بأنه تعالى أنزل القرآن الكريم لهداية الخلق وصلاح دنياهم وأخراهم قال تعالى ﴿قد جاءكم من الله نور وكتاب مبين يهدي به الله من أتبع رضوانه سبل السلام ويخرجهم من الظلمات إلي النور بإذنه ويديهم إلي صراط مستقيم﴾ (المائدة: ١٦) .

كما قال تعالى ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ كما نؤمن بأنه لاصلاح للإنسانية إلا بالرجوع إلي كتاب الله وسنة رسوله ﷺ تحل حلالهما وتحرم حرامهما وتتأدب بأدبهما وإن طلب صلاح الإنسانية بعيدا عن كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ضرب من المحال .

ونؤمن بأنه الله بعث رسلا وأنبياء كثيرين «منهم من قصصنا عليك ومنهم من لم نقصص عليك» كما نؤمن بكل رسول أثبت القرآن رسالته ولا نفرق بين المرسلين من حيث الرسالة .

قال تعالى ﴿آمن الرسول بما أنزل إليه من ربه والمؤمنون كل آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله لا نفرق بين أحد من رسله﴾ (البقرة ٢٨٥) .

وأولوا العزم من المرسلين خمسة رسل هم محمد وإبراهيم وموسى وعيسى ونوح صلي الله عليهم وسلم .

كما نؤمن بأن نبينا محمدا ﷺ أفضل رسل الله . وسيد ولد آدم ولا فخر بل هو سيد الخلائق جميعاً .

فهو أفضل خلق الله أفضل من جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل وحملة العرش وأفضل من العرش والكرسي واللوح والقلم .

وأن البقعة التي تضم جسده الشريف بالمدينة المنورة أفضل البقاع في السموات

---

(١) صحيح مسلم .

والأرض بإجماع الأمة علي ذلك .

ويشهد لتفضيلة ﷺ علي غيره قوله ﷺ في حديث الشفاعة «أنا سيد ولد آدم ولا فخر» ويعمل ذلك بأنه صاحب الشفاعة العظمي يوم القيامة .

كما أن جبرائيل ليلة الإسراء والمعراج استأخر عند سدرة المنتهي وتقدم ﷺ وحده يخوض في بحار من النور. وقال لرسول الله ﷺ «وما منا إلا له مقام معلوم» لو تقدمت خطوة لاحتقرت .

كما يشهد لفضله إمامته للأنبياء بيت المقدس ليلة الإسراء والمعراج بتقديم جبريل عليه السلام له .

ونؤمن بأن أنبياء الله ورسله جميعاً يجب لهم كل كمال بشري. ويستحيل عليهم كل نقص بشري يخل بأداء رسالتهم . ويجب لهم تفصيلاً الصدق والأمانة والتبليغ والفظانة . فيستحيل علي أنبياء الله ورسله الكذب قبل الرسالة وبعدها وما ورد مما يوهم خلاف ذلك. فهو مما أباحه الله عز وجل لضرورة كما ورد في حديث «لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات» الحديث .

كما يستحيل علي أنبياء الله ورسله الخيانة بجميع صورها جلت الخيانة أم هانت لأن الخائن لا يصلح لحمل أمانة السماء قال تعالي «ولو تقول علينا بعض الأقاويل لأخذنا منه باليمين ثم لقطعنا منه الوتين فما منكم من أحد عنه حاجزين» ويستحيل عليهم كتمان شئ مما أمرهم الله بتبليغه. لأن ذلك مما يخل بأداء الرسالة. قال تعالي «يا أيها الرسول بلغ ما أنزل إليك من ربك وإن لم تفعل فما بلغت رسالته» وتجب لهم الفطنة أي الذكاء الحاد حتي يستطيعوا تبليغ رسالات الله علي أكمل الوجوه واقامة الحجة علي الكفار أعداء الدين .

هذا وما ورد مما يوهم ظاهره حصول الذنب منهم فهو مؤول بحسب ما يليق بكمالهم فهو من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين .

ومن ذلك قوله تعالي يخاطب نبينا سيدنا محمداً ﷺ «إنا فتحنا لك فتحاً مبيناً ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر» (الفتح ٢٠١) فنسب إليه الذنب والمراد بالذنب

هنا فعل خلاف الأولي فحسب عن اجتهاد منه ﷺ لا لهوي نفسه بل استجاب لمعان شريفة غلبت عليه ﷺ من ذلك مثلا .

أخذه الفداء من أساري المشركين يوم بدر استجاب لمشورة الصديق ومن معه لأن ذلك يوافق ما غلب عليه ﷺ من الرحمة التي وصفه الله بها بقوله ﴿وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين﴾ (الأنبياء ١٠٧) .

والتي وصف نفسه بها معبرا عما يجده بين جوارحه منها بقوله «إنما أنا رحمة مهداة»<sup>(١)</sup> فهو في أخذه الفداء لم يخرج عن أصل من أصول الشرع ومع ذلك أخذ بمشورة فريق من المؤمنين متأثرا بما فطره الله عليه من الرحمة السابقة . وإن كان ذلك لم يكن الأفضل من حيث أغراض الجهاد في سبيل الله فعوتب علي ذلك فحسب .

وهكذا ما أسند لغيره مما يوهم وقوع المعصية من النبيين فهو مؤول بحسب ما يليق بمقامهم فالأنبياء معصومون من ارتكاب الكبائر والصغائر قبل النبوة وبعدها . هذا ويجب الإيمان أيضا بعموم بعثته ﷺ للإنس والجن جميعاً إلي يوم القيامة لقوله تعالى ﴿وما أرسلناك إلا كافة للناس بشيراً ونذيراً﴾ وقوله تعالى ﴿قل يا أيها الناس إني رسول الله إليكم جميعاً﴾ ولقوله ﷺ «نصرت بالرعب مسيرة شهر وجعلت لي الأرض مسجداً وطهوراً فأيما رجل من أمتي أدركته الصلاة فليصل وأحلت لي الغنائم ولم تحل لأحد قبلي وأعطيت الشفاعة وكان النبي ﷺ يبعث إلي قومه خاصة ويبعث إلي الناس كافة»<sup>(٢)</sup> .

كما قال ﷺ «لا يسمع بي رجل من هذه الأمة يهودي ولا نصراني ثم لا يؤمن بي إلا دخل النار»<sup>(٣)</sup> .

ودعوي بعض الضالين أن رسولنا ﷺ مبعوث إلي العرب خاصة دعوي ظاهرة البطلان فإنهم لما صدقوا برسائله لزمهم تصديقه في كل ما يخبر به وقد أخبر أنه رسول

(١) الجامع الصغير وصححه .

(٢) رواه الشيخان .

(٣) روه مسلم .

الله للناس كافة والرسول لا يكذب فلزم تصديقه في دعوي عموم رسالته ﷺ .

## ونؤمن باليوم الآخر

وما فيه من قيام الناس من قبورهم وحشرهم وحسابهم وما فيه من صراط وميزان ولقد أكد ﷺ أمر الإيمان باليوم الآخر وأقام الأدلة عليه . وما أنكر العرب عليه ﷺ بعد إنكارهم الوحداية شيئاً أكثر من إنكارهم البعث ولقد كان الأنبياء والمرسلون يلحون علي تأكيد هذين الأمرين الوحداية والبعث فعليهما مدار رسالات السماء .

وكان الكافرون يرون الفناء عائقاً للبعث وقد حكي الله عنهم ذلك ورد عليهم بأدلة تذهب بشبههم . قال تعالي ﴿وقالوا أنذا كنا عظاماً ورفاتاً أننا لمبعوثون خلقاً جديداً قل كونوا حجارة أو حديداً أو خلقاً مما يكبر في صدوركم فسيقولون من يعيدنا قل الذي فطركم أول مرة﴾ (الإسراء ، ٤٩ ، ٥١) .

وهكذا تحكي الآيات شبهة الكافرين وترد عليهم بما يطلها في وضوح .

إنهم رأوا في الفناء حائلاً دون البعث ورد الله عليهم بالخلق الأول خلقهم ابتداء فقد كانت أجسادهم ذرات مبعثرة هنا وهناك فجمعها الله وسوى منها أجسادهم فمن قدر علي جمعهم أولاً فهو قادر علي جمعهم ثانياً والدليل بهذه الصورة في غاية الوضوح يفهمه العامي الأمي ويرضي الفيلسوف الألمي .

وتكررت هذه الشبهة علي ألسنة الكافرين فهذا أبي بن خلف من عتاة المشركين جاء رسول الله ﷺ بعظم قد رم وبلى فته بيده وقال : يا محمد أتري الله يحيي هذا بعد ما رم ؟ فقال : نعم . ويبعثك ويدخلك النار ونزل في ذلك قوله تعالي ﴿ وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة وهو بكل خلق عليم الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون أو ليس الذي خلق السموات والأرض بقادر علي أن يخلق مثلهم بلي وهو الخلاق العليم إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون﴾ (يس ٧٨ ، ٨٢) .

وفي هذه الآيات يحكي الله شبهة الكافرين في إنكار البعث ويرد عليهم بأكثر من

رد كل واحد منها كاف في إبطال هذه الشبهة وهي شبهة وقوف الفناء حائلاً أمام البعث

أما الردود فأولها تذكيرهم بخالفهم أولاً فالقادر علي الخلق ابتداء أقدر علي الإعادة فالخلق ابتداء فيه تجميع لأجزاء مبعثرة فهو من هذه الناحية لا يختلف عن الإعادة أي البعث بل البعث أهون قال تعالي مشيراً إلي ذلك ﴿وضرب لنا مثلاً ونسي خلقه قال من يحي العظام وهي رميم قل يحيها الذي أنشأها أول مرة﴾ .

والدليل الثاني علي البعث في هذه الآيات يشير إليه قوله تعالي ﴿وهو بكل خلق عليم﴾ وكأنهم استعظمووا الجمع للأجزاء المبعثرة لتعذر العلم بأمكتها فرد الله عليهم ببيان أن علمه كامل محيط لا يغيب عنه شيء .

ثم ذكر دليلاً ثالثاً ردا علي استصعابهم توارد الأضداد من حياة وموت علي الأجسام هو تذكيرهم بتوارد الأضداد أمام أعينهم بقوله تعالي ﴿الذي جعل لكم من الشجر الأخضر ناراً فإذا أنتم منه توقدون﴾ وستان بين توارد الأضداد علي الشيء الواحد وبين إجتماعها معا في الشيء الواحد فتواردها غير مستحيل واجتماعها هو المستحيل فالضدان لا يجتمعان ابداً .

والشجر الأخضر هو نوع من أشجار البادية يمكن بواسطة دق بعضه ببعض آخر من أشجار البادية أيضاً أن تتولد منهما النار .

والدليل الرابع . هو الاستدلال علي وقوع البعث بخلق السموات والأرض فمن قدر علي خلق هذه الأجسام العظيمة لا يصعب عليه أن يخلق أجسام الناس عند البعث وفي الدليل الخامس إشارة إلي بالغ قدرته تعالي وأنها لا تقاس بقوي البشر . «إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون» فإيجاده تعالي الأشياء لا تحتاج منه إلي معاناة وكد تعالي الله عن ذلك علواً كبيراً .

هذا و الأدلة علي وقوع البعث كثيرة متنوعة في القرآن . من ذلك قوله تعالي مشيراً إلي دليل عملي منها ﴿وإذ قال إبراهيم ربي أرني كيف تحيي الموتى قال أولم تؤمن قال بلي ولكن ليطمئن قلبي قال فخذ أربعة من الطير فصرهن إليك ثم اجعل علي كل جبل منهن جزءاً ثم ادعهن يأتينك سعياً﴾ (البقره ٢٦٠) .

ومعني قوله : فصرهن أي قطعهن قال ابن كثير: قطعهن وترف ريشهن ومزقهن

وخلط بعضهم ببعض ثم جزأهن أجزاء وجعل علي كل جبل منهن جزءاً ثم دعاهن فجعل الريش يطير إلي الريش والدم إلي الدم واللحم إلي اللحم والأجزاء من كل طائر يتصل بعضها ببعض حتي قام كل طائر علي حدته وأتبهن يمشين سعيًا .

ويذكر عز وجل قصة أخري ودليلاً مشاهداً عملياً علي البعث وقع للعزيز وذلك أنه رأي بيت المقدس خراباً بعد تخريب بختصر لها وقتل أهلها فقال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام وأمات معه حمامه كذلك وعمرت البلد بعد مضي سبعين سنة من موته ثم بعثه الله وكان أول شئ أحياه الله فيه عينيه لينظر بها إلي صنع الله فيه كيف يحيي بدنه وأراه عظام حمامه وقد تناثرت ثم بدأ يركب بعضها بعضاً حتي صار حماماً قائماً من عظام لا لحم عليها ثم كساها الله لحماً وجلداً وقد حفظ الله طيلة هذه المدّة طعامه الذي كان معه فلم يصبه فساد .

قال تعالي مشيراً إلي هذه القصة ﴿أو كالذي مر علي قرية وهي خاوية علي عروشها قال أني يحيي هذه الله بعد موتها فأماته الله مائة عام ثم بعثه قال كم لبثت قال لبثت يوماً أو بعض يوم قال بل لبثت مائة عام فانظر إلي طعامك وشرابك لم يتسنه وانظر إلي حمامك ولنجعلك آية للناس وانظر إلي العظام كيف ننشزها ثم نكسوها لحماً فلما تبين له قال أعلم أن الله علي كل شئ قدير﴾ (البقره: ٢٥٩) .

هذا والقبر أول منازل الآخرة

فمن مات قامت قيامته فقد سأل قوم من الأعراب النبي ﷺ عن الساعة فنظر إلي أحدث إنسان منهم فقال ﴿إن يعيش هذا حتي يدركه الهرم قامت عليه ساعتكم﴾ (١) .

ونحن نؤمن بعذاب القبر ونعيمه لقوله ﷺ: القبر روضة من رياض الجنة أو حفرة من حفر النار؛ ولقوله تعالي يتحدثنا عن عذاب آل فرعون في القبر ﴿النار يعرضون عليها غدواً و عشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون أشد العذاب﴾ (غانر: ٤٦) . فأثبت تعالي عذاباً لآل فرعون بالغداة والعشي قبل قيام الساعة وما ذاك إلا عذاب القبر كما قال السادة العلماء .

(١) رواه مسلم .

فعذاب القبر ونعيمه حق لا ريب فيه والموتى في قبورهم أحياء مسلمهم وكافرهم فإنه لا يصح عذاب ولا نعيم إلا مع الحياة .

وحياة الناس في قبورهم أكمل من حياتهم علي ظهر الأرض . ولكنها تختلف عنها في الصورة .

والمنعم أو المعذب في القبر هو الروح والجسد معا ولا تعجز قدرة الله عن ذلك وإن تفرق الجسد في أنحاء الأرض وإن أكلته السباع أو الأسماك فهو لا بد أن ينتهي آخر الأمر إلي مستقر من الأرض هو قبره . هذا ولقد كان ﷺ يخاطب الموتى في قبورهم ولا خطاب إلا مع الحياة والفهم فلقد خاطب قتلي بدر من المشركين بعد دفنهم وناداهم بأسمائهم قائلا : يا عتبة بن ربيعة ويا شيبة بن ربيعة ويا أبا جهل بن هشام هل وجدتم ما وعدكم ربكم حقا فإني وجدت ما وعدني ربي حقا .

فقال له الصحابة رضوان الله عليهم : أتخاطب قوما جيئوا يارسول الله ؟ فقال لهم ﷺ ما أنت بأسمع لما أقول منهم ولكن لا يجيبون كما كان ﷺ يري ما يدور في القبور من نعيم أو عذاب .

فلقد مر علي قبرين فقال : إنهما ليعذبان وما يعذبان في كبير أما أحدهما فكان لا يستتره من البول . وأما الآخر فكان يمشي بالنميمة . ثم أخذ جريدة رطبة فشقها باثنتين . ثم غرز علي كل قبر منهما واحدة قالوا لم يا رسول الله ؟ قال : «لعله يخفف عنها ما لم ييسا» (١) .

وقد ثبت في الصحيح أن الميت يستأنس بالمشعين لجنازته بعد دفنه . فعن عبد الرحمن بن شماس المهدى قال : حضرنا عمرو بن العاص وهو في سياق الموت فبكي طويلا وجول وجهه . فجعل ابنة يقول : ما يبكيك يا أبتاه ؟ أما بشرك رسول الله ﷺ بكذا ؟ فأقبل بوجهه فقال : إن أفضل ما نعد شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله إلي أن قال : فإذا أنا مت فلا تصحبني نائحة ولا نار . فإذا دفتموني فسنوا علي التراب ثم أقيموا حول قبري قدر ما تنحصر جزور ويقسم لحمها حتي استأنس بكم وأنظر

(١) رواه الشيخان

ماذا أراجع به رسل ربي (١) .

ولا يستأنس بالأحياء إلا حي . وإذا كنا قد رأينا كلام الأحياء للأموات في حديثه

ﷺ لفتلي المشركين يوم بدر .

فقد ثبت كذلك كلام الأموات للأحياء . روي ابن القيم في كتابه «الروح» أن ثابت

بن قيس بن شماس رضي الله عنه خرج يوم اليمامة مع خالد بن الوليد لحرب مسيلمة

الكذاب فلما التقى الجيشان انكشف المسلمون فقال ثابت وسالم مولاي أبي حذيفة ما كنا

نقاتل مع رسول الله ﷺ ثم حفر كل واحد منهما حفرة فثبنا وقاتلا حتى قتلا . وعلى

ثابت يومئذ درع له نفيسة فمر به رجل من المسلمين فأخذها . فبينما رجل من المسلمين

نائم إذا أتاه ثابت في منامه فقال له : أوصيك بوصية إياك أن تقول هذا حلم فتضيعه إني

لما قتلت بالأمس سر بي رجل من المسلمين فأخذ درعي ومنزله في أقصى الناس وعند

خبائه فرس وقد كفا علي الدرع برمه وفوق البرمة رحل فات خالدًا فمره أن يبعث إلي

درعي فيأخذها .

وإذا قدمت المدينة علي خليفة رسول الله ﷺ يعني أبا بكر الصديق رضي الله عنه

فقل له : «إن علي من الدين كذا وكذا وفلان من رقيقي عتيق فأتي الرجل خالدًا فأخبره

فبعث إلي الدرع فأتي بها وحدث أبا بكر برؤياه فأجاز وصيته» (٢) .

وكان ﷺ يأمر التعوز من عذاب القبر . ويصرح بخطورته .

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال : بينما النبي ﷺ في حائط لبني النجار علي

بغلته ونحن معه إذ حادت فكادت تلقيه فإذا أقبر خمسة أو ستة فقال : من يعرف

أصحاب هذه القبور ؟ فقال رجل أنا يا رسول الله فقال : فمتي مات هؤلاء ؟ قال : ماتوا في

الأشراك قال : إن هذه الأمة تبلي في قبورها . فلولا أن لا تدافنوا لسألت الله أن يسمعكم

عذاب القبر الذي أسمع منهم . ثم أقبل علينا فقال : تعوذوا بالله من عذاب القبر تعوذوا

بالله من عذاب القبر تعوذوا بالله من عذاب القبر (٣) . الحديث .

وفي هذا الحديث نري أن البهائم تري ما يدور في القبور من عذاب أو نعيم

(١) رواه مسلم . (٢) كتاب الروح لابن القيم ص ٢٠ ، ٣١ . (٣) رواه مسلم

وتسمع ما فيها فما نفرت بغلة المصطفى ﷺ إلا بسبب مشاهدتها عذاب هؤلاء المشركين ويؤكد ذلك ما رواه مسروق عن عائشة رضي الله عنها أن يهودية دخلت عليها فاستوهبتها طيباً فوهبت لها عائشة فقالت لها اليهودية: أبارك الله من عذاب القبر قالت: فوقع في نفسي من ذلك حتي جاء النبي ﷺ فذكرت ذلك له قلت يا رسول الله: إن للقبر عذاباً؟ قال: نعم إنهم ليعذبون في قبورهم عذاباً تسمعه البهائم<sup>(١)</sup>.

هذا وما تقدم نؤمن أنه ليس بين الإنسان وبين ربه ومحاسبته علي الصغير والكبير إلا أن يموت فتقوم بذلك قيامته الخاصة به. ويلقي جزاء عمله من خير أو شر .

فتهياً أخي المسلم للقاء ربك. فقد تفاجأ أصح ما تكون في شبابك قبل هرمك والدنيا مقبلة عليك غير مدبرة قد تفاجأ بزيارة رسول ربك ملك الموت يدعوك لهذا اللقاء ولا يتظر منك إذنا . فإذا بك وحيد قبرك . وأسير عملك وقد زالت عنك غشاة دنياك. وصدق فيك قول مولاك «فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم جديد».

### ونؤمن بالقدر خيره وشره

ومعني القدر: أن الله تعالي قدر الأشياء في القدم. وعلم سبحانه أنها ستقع في أوقات معلومة عنده وعلي صفات مخصوصة فهي تقع علي حسب ما قدرها سبحانه وتعالى .

فمن أنكر القدر فقد كفر قال شارح الطحاوية: فمن وحد الله وكذب بالقدر نقص تكذيبه توحيده لأن الإيمان بالقدر جزء من الإيمان في حديث جبريل عليه السلام المتقدم ولما رواه ابن ماجه بسنده عن ابن الديلمى قال: وقع في نفسي شئ من هذا القدر خشيت أن يفسد علي ديني وأمري فأتيت أبي بن كعب فقلت: أبا المنذر إنه قد وقع في نفسي شئ من هذا القدر فخشيت علي ديني وأمري فحدثني من ذلك بشئ لعل الله أن ينفعني به فقال:

لو أن الله عذب أهل سماواته وأهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم. ولو

(١) رواه البخارى .

رحمهم لكنت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو كان لك مثل جبل أحد ذهباً أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله . ما قبل منك حتي تؤمن بالقدر فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وأن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وأنك إن مت علي غير هذا دخلت النار ولا عليك أن تأتي عبد الله بن مسعود فتسأله . فأتيت عبد الله فسأته فذكر مثل ما قال أبي .

وقال لي : ولا عليك أن تأتي حذيفه فأتيت حذيفه فسأته فقال مثل ما قال وقال : أنت زيد بن ثابت فأسأله . فأتيت زيد بن ثابت فسأته فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «لو أن الله عذب أهل أرضه لعذبهم وهو غير ظالم لهم . ولو رحمهم لكنت رحمته خيرا لهم من أعمالهم ولو كان لك مثل أحد ذهباً أو مثل جبل أحد تنفقه في سبيل الله ما قبله منك حتي تؤمن بالقدر كله فتعلم أن ما أصابك لم يكن ليخطئك وما أخطأك لم يكن ليصيبك وأنك إن مت علي هذا دخلت النار» (١) .

وقد أنكرت القدرية هذا وزعمت أن الله تعالي لم يقدر الأشياء قبل وقوعها فنبسوا بذلك الجهل لله تعالي ألا كبرت كلمة تخرج من أفواههم إن يقولون إلا كذبا والقرآن الكريم يثبت القدر كما أثبتته السنة .

قال تعالي «ما أصاب من مصيبة في الأرض ولا في أنفسكم إلا في كتاب من قبل أن نبرأها إن ذلك علي الله يسير» ( الحديد ٢٢ ) .

وقال ﷺ : «وأعلم أن ما أخطأك لم يكن ليصيبك وما أصابك لم يكن ليخطئك وأعلم أن الأمة لو اجتمعت علي أن يفعوك بشئ فلن يفعوك إلا بشئ قد كبه الله لك وأن اجتمعت علي أن تضرك بشئ فلن تضرك إلا بشئ قد كبه الله عليك رفعت الأقلام وجفت الصحف» (٢) .

وعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه قال : «كنا في جنازة في بقيع الغرقد فأتانا رسول الله ﷺ ففقد وقعدنا حوله ومعه مخصرة فنكس رأسه ينكت بمخصرته ثم قال : ما

(١) ابن ماجه حاصص ٢٩ ، ص ٣٠ .

(٢) رواه الترمذى . وقال حسن صحيح .

من نفس منفوسه إلا وقد كتب الله مكانها من الجنة والنار وإلا قد كتبت شقية أو سعيدة  
قال: فقال رجل: يا رسول الله افلا نمكث علي كتابنا وندع العمل؟

فقال ﷺ « من كان من أهل السعادة فيصير إلي عمل أهل السعادة ومن كان  
من أهل الشقاوة فيصير إلي عمل أهل الشقاوة » .

ثم قال: اعملوا فكل ميسر لما خلق له أما أهل السعادة فييسرون لعمل أهل  
السعادة وأما أهل الشقاوة فييسرون لعمل أهل الشقاوة .

ثم قرأ: «فأما من أعطي واتقى وصدق بالحسني فسيسره لليسري . وأما من بخل  
واستغني وكذب بالحسني فسيسره للعسري » (١) .

وبما تقدم نؤمن أنه لا يبرز شئ إلي الوجود إلا وفق قدر الله السابق جل ذلك  
الشئ أم هان ولا مجال للصدفة أبدا في الكون علويه وسفليه ولا للحظ وإنما هو القدر  
السابق الذي قدره الله عز وجل .

فأحداث يومك مثلا لو كوشفت بقدر الله لرأيته صورة مطابقة لما سبق به القدر  
قال تعالي ﴿وعنده مفاتيح الغيب لا يعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط  
من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب  
مبين﴾ .

فسقوط ورقة ذابله حركتها الريح فسقطت قد قدر الله سقوطها أزلا بهذا السبب  
في ذلك الوقت بمعنى أن ما تبرزه القدر الإلهية إنما هو وفق مخطط أزلي سابق هو  
القدر وليس في الوجود قدرة تزاخم قدرة الله عز وجل وإنما سائر القدر منحة منه عز  
وجل وتدور في فلك قدرته عز وجل تابعة غير مؤثرة فلا تستقل قدرة مخلوق بإيجاد  
شئ أبدا .

قال تعالي ﴿والله خلقكم وما تعملون﴾

هذا وإيماننا بالقدر لا يقعد بنا عن عمل ولا يسلمنا إلي كسل بل علي العكس من  
ذلك هو قوة دافعة للعمل فهو يزيل من النفوس المخاوف ويملاها ثقة وطمأنينة .

(١) رواه البخاري ومسلم .

هذا مسلم يستند إلي القدر في دفع الخوف من القتال من نفسه .  
فيقول لنفسه :

أي يومي من الموت أفر      يوم لا قدر أم يوم قد قدر  
يوم لا قدر لا أرهبه      ومن المقلور لا ينجو الحذر  
فهو يستمد الشجاعه من عقيدته التي تؤمن بالقدر .

ذلك أنه إن لم يقدر عليه في معركة تلك موت فلا خوف إذن وإن كان قد قدر  
عليه فيها موت فلا بدمه ولا ينجي حذر من قدر .

قال تعالي مشيرا إلي ذلك «قل لو كنتم في بيوتكم لبرز الذين كتب عليهم القتال  
إلي مضاجعهم» (آل عمران: ١٥٤) .

وهذا خالد بن الوليد سيف الله يموت علي فراشة وهو يقول مشيراً إلي عقيدته  
التي تؤمن بالقدر: لقد شهدت مائة زحف أو زهاءها وما في بدني موضع شبر إلا وفيه  
ضربة سيف أو طعنة رمح وها أنذا أموت علي فراشي كما تموت العير فلا نامت أعين  
الجبناء .

إنه لم يقدر عليه الموت في المعارك فيشهد مائة معركة بطلا مظفرا ولكنه لم يموت  
في المعارك ومات كما قدر الله عليه علي فراشه فما يخاف الجبان ويقول ﷺ: «المؤمن  
القوي خير وأحب إلي الله من المؤمن الضعيف وفي كل خير احرص علي ما ينفعك  
واستعن بالله ولا تعجز فإن أصابك شئ فلا تقل: لو أني فعلت كذا وكذا ولكن قل قدر  
الله وما شاء فعل فإن «لو» تفتح عمل الشيطان وفي هذا الحديث نري الإيمان بالقدر  
يدفع الندم القاتل علي الفائت الذي يدفع الكثير للانتحار ويحل بدلا منه الإيمان المستبج  
للرضا ولكن قل قدر الله وما شاء فعل» وهي تساوي قدر الرحمن الرحيم بي هذا الأمر  
ولا بد أن تكون عاقبته خيرا لأنه قضاء الرب الرحمن الرحيم .

وهكذا نري عقيدة القضاء والقدر بجانب كونها عقيدة دافعة للعمل . فهي كذلك  
ما نعة من اليأس والكسل والانهيأر أمام قسوة الأحداث .

وليس لعاص أن يحتج علي معصيته بالقدر ذلك أن القدر لا علم لنا به إلا بعد بروزه ولكننا نعلم أن هناك أوامر أمرنا الله بها ونواه نهانا الله عنها فمن واجب العاقل أن يشتغل بما يعلم أنه مطلوب منه فيسارع إلى الطاعة ويتعد عن المعصية .

والأ يشغل نفسه بما غيب عنه من قدر الله عليه . فإذا وفق لطاعة حمد الله علي قدره وإن كانت الأخرى ووقع في معصية سارع للاستغفار والتوبة منها وعزي نفسه علي ما ابتلاه الله به من معصية قدرها الله عليه .

وكذلك يجد في حياته وأعمال دنياه ويأخذ حذره ما استطاع ويرضي بالنتيجة آخر الأمر بعد أن يستفرغ الجهد في تجويد عمله وتحسينه فإن قدر الله غالب .

روي ابن ماجة في سنته عن عمرو بن دينار أنه سمع طاوسا يقول : سمعت أبي هريرة يخبر عن النبي ﷺ أنه قال : «احتج آدم وموسى فقال له موسى : يا آدم أنت أبونا حبيينا وأخرجتنا من الجنة بذنبك فقال له آدم : يا موسى اصطفاك الله بكلامه وخط لك التوراة بيده . أتلموني علي أمر قدره الله علي قبل أن يخلقني بأربعين سنة ؟ فحج آدم موسى فحج آدم موسى فحج آدم موسى ثلاثا .

فعليك أخي بالإيمان بالقدر . يدفعك لصالح العمل ويأخذ بيدك إذا ادلهمت الحياة من حولك .

هذا والإيمان يشمر العمل فمن آمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيرة وشره .

اندفع لصالح العمل من صلاة وصيام وزكاة وحج وغير ذلك مما جاء به كتاب ربنا وسنة نبينا ﷺ .

ومن هنا قال بعض علمائنا الإيمان تصديق بالجنان وعمل بالأركان ونطق باللسان أي نطق بالشهادتين .

وعند التحقيق فالإيمان الكامل هو هذا وهل يتصور ممن يؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر والقدر خيره وشره علي النحو الذي سبق تفصيله أن يترك الصلاة والزكاة والحج وصوم رمضان .

إن إيمانه يدفعه دفعا للامتثال لأوامر الله ورسوله . قال تعالى ﴿ إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ

إِذَا ذَكَرَ اللَّهُ وَجِلَّتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تَلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ

الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ﴾ ( الانفال ٤٠، ٣٠، ٢ ) .

وإذا كمل للمرء إيمانه أثمر له مقام الإحسان المشار إليه في حديث جبريل المتقدم بقوله «الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » وأنعم به من مقام

يشمر كمال المراقبة لله عز وجل .

فإن من يمتلئ يقينه بمعية الله وكمال مراقبته لا تجد المعصية إليه سيلا ولا يستطيع الشيطان أن يقترب منه بوساوسه وهمزاته .

ويقبل علي الطاعة متلذذا بها مستشعرا الانس بربه دائم اللجوء إليه . لا يرفع لغيره حاجة نزلت به .

هذا خليل الرحمن وهو من أكابر رجال هذا المقام الإحسان بعد نبينا سيد الانام ﷺ .

يعرض له جبريل وهو طائر بين السماء والأرض إلهي النار التي أوقدها له المشركون يقول له جبريل في هذه اللحظة المعصية . ألك حاجة ؟ فيقول له : أما إليك فلا . وأما إلهي الله فبلي . فيقول له جبريل : فسل الله حاجتك . فيقول أب الانبياء وقد امتلأ قلبه يقينا يقرب الله منه ومعيته له يقول : علمه بحالي يعني عن سؤالي .

اللهم املا قلوبنا إيمانا بك وتصديقا بملائكتك وكتبك ورسلك واليوم الآخر والقضاء والقدر خيره وشره حلوه ومره . ويسر لنا طاعتك وبغض إلينا معصيتك . وأرزقنا مقام الإحسان فضلا منك وإحسانا .

وصل اللهم علي سيدنا ومولانا محمد النبي الأمي وعلي آله وصحبه وسلم .